مجلة أنثروبولوجيا P-ISSN: 041-2437
مجلد: 05 عدد: 10 السنة 2019 E-ISSN:2588-2325

وسائل التواصل الاجتماعي والثورة المضادة لدى الشباب

مكانيزم دفاعي ضد الاستبعاد والتهميش

Social Media and Counter-Revolution in Algerian Youth Defensive Mechanisms Against Exclusion and Marginalization

محمد زيان

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر m.zian@univ-chlef.dz

تاريخ الإرسال: 2019/11/21 تاريخ القبول: 2019/11/22 تاريخ النشر: 2019/12/25

ملخص:

نحاول من خلال هذه المقالة توضيح الإستراتيجية الجديدة التي يتخذها الشباب تُجاه الثقافة ووسائطها وتجاه السلطة المهيمنة، كونه يُضمن عبرها رسالة إيديولوجية وسياسية رافضة ومحتجة، وهو يفرض عليها في نفس الوقت إعادة احتضانه بشكل طارئ، وربما يطرح السؤال البسيط: كيف نتصرف لكي يتم قبولنا؟ أي أنه بهذا الشكل يحاول البحث عن كيفية يوصل بها أصواته الرافضة للثقافة السائدة المهيمنة، دون أن يقع في التقليد الكلاسيكي.

كلمات مفتاحية: الشباب، التواصل الاجتماعي، الثقافة السائدة، الثورة المضادة، الرابط الاجتماعي.

Abstract:

In this article, we try to explain the new strategy adopted by young people towards culture and its means and the dominant power, as it guarantees an ideological and political message that is rejecting and argumentative, and at the same time forcing it to re-embrace it in an emergency. In this way, he

tries to find out how to reach out to the prevailing dominant culture without falling into the classical tradition.

Keywords: youth, social media, mainstream culture, counter-revolution, social link, internet.

1-مقدمة:

إن التواصل الاجتماعي له صبغة اجتماعية بحتة رغم اختلاف الأزمنة ورغم التطور العلمي الحاصل على مستوى الثقافة، فلا أحد يُنكر أن الإنسان مجبول على البحث الدؤوب عن الروابط الاجتماعية الرمزية سواء من أجل إشباع غرائزه أو لإشباع غريزة الاجتماع الضرورية، وعلى هذا الدرّب سار الإنسان منذ آلاف السنين إلى زمن اختراع الوسائل التواصلية في الفضاء والطبيعة كالموسيقى والألحان أو أنغام والكلام والشعر إلى زمن الكمبيوتر والانترنيت، ما يعني أن كلّ من الروابط الاجتماعية والاجتماع يتأسسان على التواصل وهو ما أحالنا للبحث في دور وسائل التواصل الاجتماعي في أبحاث كثيرة قمنا بها ومن ضمنها هذا المقال الذي نحاول من خلاله طرح فكرة دور هذه الوسائل في إحداث تغييرات قد تكون جذرية في المجتمع، لها علاقة بالرابطة الاجتماعية واستقرار المجتمع وكذا الفاعلين الأساسين في هذا التغيير، وفي مقدمتهم الشباب.

كان موضوع الشباب محل اهتمام دائم لرجال السياسية والتربية والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا وغيرهم من الاختصاصيين في كل دول العالم، كانشغال يغلب عليه التركيز على محاولة فهم سلوكياتهم سواء الايجابية أو السلبية لفهم الأسباب والعوامل المتسببة فيها، ومحاولة إيجاد العلاج، جراء مشكلات البطالة والفقر والتسرّب المدرسي والتي يعزوها البعض لفشل مؤسسات التنشئة الاجتماعية في حماية الشباب واحتضانه والحيلولة دون وقوعه في شراك مُغريات السلوكات المنحرفة. ولعل أحد أسباب هذا الفشل تعود لصعوبة توفير الوسائل والهياكل التي تستوعب طاقاتهم الإبداعية بشكل ايجابي.

ننطلق في هذه المقالة لتناول وسائل التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الشباب الجزائري الساعي لتغير الواقع الاجتماعي التقليدي، والنظام السياسي المتمثل في ممثليه الذين يحملونه كل أشكال الفساد الذي ألحقوه بالدولة من خلال الاستعانة بوسائل التواصل الاجتماعي ثم النزول للميدان والتظاهر والاحتجاج السلمي فهل استطاعت هذه الحركات الاجتماعية أن تُعيد النظر في انتمائهم؟.

إن المتأمل فى مسألة الشباب الجزائري كأنموذج لهذه الدراسة، وفي خضم الظروف الراهنة التي تمرّ بها البلاد، لتأكدنا أنه ليس في مقدورنا عزله عن هذه التحولات العميقة في شتى الجوانب الاجتماعية والثقافية والإعلامية والأمنية، لكنها تطرح -في نظرنا- أسئلة كثيرة: من هم الشباب؟ أو عن أي شباب نتحدث؟ عن الشباب البطال والمُهمش أم الشباب الجامعي والمتعلم؟ عن الذكور أم إناث؟ وما هي الإستراتيجية التي يُخفيها هؤلاء كممثلين للثقافة المضادة في مواجهة مشكلاتهم؟، والتي تنبئ بإحداث تغيرات جذرية في المجتمع، وربما لن تعرف لها نهاية. نتساءل أيضاً: لماذا لا يمكن لفئات عريضة من هذا الشباب أن تتموضع اجتماعيا بصورة طبيعية؟ بل يُمكن ملاحظة حياتهم البائسة، وهم في حالة من الضياع المتنامي مع البطالة والفقر واليأس، والتي يربطونها في الغالب بحالات عدم الاستقرار السياسي والأمني والمعيشي.

2. وسائل التواصل الاجتماعي:

إن الحديث «عن الاتصال باعتباره صلة المجتمع ببعض وحلقة الوصل الأساسية بين الأفراد والمؤسسات أصبح من الأمور اليومية البديهية، وبالرغم من أن عملية الاتصال قد تبدو لنا اعتبارية وتلقائية دون النظر إلى دلالاتها وأهميتها الاجتماعية إلا أن هذه التلقائية تخفي وراءها أبعاد لعملية اجتماعية معقدة فهي لا تقتصر على من يقول لمن وإنما هناك أبعاد أخرى تتعلق بالمستوى الاتصالي والأسلوب والأداء وكذلك الوظائف التي يحققها الاتصال»[1]، ودون أن نثير أي غموض أو لبس في استعمال مصطلح التواصل الاجتماعي الذي يبدو مألوفاً في كمّ هائل من الكتابات الصحفية والإعلامية المُكرّسة للحديث عن وسائل الإعلام مع ظهور وسائل التواصل الحديثة وعلى الخصوص الانترنت وعلى أساس استخداماتها اليومية.

فاستعمال مصطلح التواصل الاجتماعي غير وارد بشكل يُساير ما هو موجود في الدراسات السوسيولوجية نظراً للحرج في استعماله من طرف علماء السوسيولوجيا لأسباب موضوعية، لذلك يحلّ محله مفهوم الاتصال الاجتماعي، وهو ما وجدناه في الكثير من الدراسات في مجال علم اجتماع الاتصال. وبالتالي نقصد بوسائل التواصل الاجتماعي «أو شبكات الاعلام الاجتماعي (*Social Network*) بأنها مواقع (*Websites*) أو تطبيقات أخرى (*Applications*) مخصصة لإتاحة القدرة للمستخدمين للتواصل فيما بينهم من

خلال وضع معلومات وتعليقات ورسائل وصور...إلخ»[2]، وهذا تفادياً لأي لبس يمكن أن يمس هذا المفهوم.

نظر علماء الاجتماع للتواصل «نظرة تختلف في منظورها ودلالاتها وأبعادها عن نظرة زملائهم من علماء النفس ومنظورهم، ولكنها غير متناقضة معها، نظرة تركز على بعد محدّد للتواصل بعدّه نسقاً أو نظاماً اجتماعيا ضروريا لقيام أي مجتمع من المجتمعات، كما ينظرون إليه بوصفه عملية اجتماعية معقدة تتكون من عوامل اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية تحدّد مسيرها وتؤثر في تحقيقها لأهدافها»[3].

يمكن القول أن مفهوم وسائل التواصل الاجتماعي يقصد به الآليات التي تعتمد من أجل بث الأفكار والمعلومات والمعاني والرموز عبر وسائط فهو «بوصفه ضرباً من المشاركة والتفاعل والتبادل في محيط اجتماعي بين أطراف واعية تؤثر في هذا الوسط الاجتماعي وتتأثر به، ويؤكد عالم اجتماع الاتصال دنيس ماكويل (D, Maquail) هذا التوجه الجديد في فهم الاتصال، إذ يرى بأن التواصل ليس سوى عملية اجتماعية لا يمكن فهمها إلا في سياقها الاجتماعي، وأن الظاهر الاتصالية لا تعدو كونها تمثيلا لأي عملية اجتماعية لا يمكن فهمها إلا في سياقها الاجتماعي، وأن الظاهرة الاتصالية لا تعدو كونها تمثيلا لأي عملية اجتماعية وشكلا من أشكال الممارسة الاجتماعية في المجتمع»[4].

3. من هم الشباب؟:

نستخلص من خلال الإطلاع على بعض المراجع الغربية والعربية والمجلات والجرائد والحديث الشفهي اليومي، أن مصطلح (*jeunesse*) شبيبة أو "شباب" متعدد المعاني، فهل الشباب مجرد كلمة؟ نعم بالطبع هي كلمة، ولم يخطئ بورديو عندما قال أن «الشباب ما هي إلا كلمة *la jeunesse ce n'est que un mot* »[5]، فهو بهذه العبارة لا يبرّر عجزه في فهم هذا المصطلح، وإنما يُعبر عن الغموض الذي يوليه البعض لمكانة هذه الفئة، والتي تُحمّل في الغالب ما لا تستطيع، والتي ربما تشابه في وظيفتها مُراهنة ماركس على طبقة العمال ودورها في الثورة وإحلال الشيوعية، وهي لم تكن مُهيأة لذلك، وجان بول سارتر في موضع حديثه عن تموضع العامل اجتماعياً، من خلال كسر الشباب وتفتيته بقوله «يُنظر للشباب كما لو كان امتداد استثنائياً أو وقف التنفيذ للمسؤولية الممنوحة إلى أبناء الأسر، أما العمال فيعبرون بغير مرحلة انتقال من المراهقة إلى عمر الرجال»[6].

يقول رشيد حمدوش «من خلال القراءات التي قمت بها، وكل الأدبيات التي قمنا بمسحها بخصوص مصطلح الشباب، وجدنا بأن استعماله يتم بدون تمحيص ولا توضيح، وتوخيا للحذر الإبستمولوجي نقول يمكن اعتبار بأن فردا ما شابا رغم اختلاف الفئات الاجتماعية، ومنه اختلاف المراحل الزمنية أو اختلاف المجتمعات»[7]، بالطبع نفهم القصد، إذ يكفي وضع الكلمة في محرك البحث غوغل مثلا، لنحصل على آلاف المعاني، إذن فإن التعامل مع كلمة الشباب بقدر ما هي شاملة وجامعة، بقدر ما هي خاطئة وكاذبة أحياناً، ومليئة بالغموض والالتباس، لأنه ليس في استطاعتنا حصرها في أعمار زمنية معينة، وهو الأمر الذي ربما يحرم فئات عريضة حق الامتياز والانتماء لها، وربما هو الغرض من استعمال الكلمة أساساً.

يمكن أن نقول أيضاً «أن مرحلة الشباب يتم تحديدها كمرحلة انتقالية التي تمتد من السن المحدد اجتماعياً بواسطة مُؤشر التبعية تجاه الأسرة والنظام، إلى غاية السن الذي يتحصل فيه الفرد على استقلاليته الكاملة تجاه هاتين المؤسستين التنشؤيتين»[8]، وهذا ما يحيلنا لطرح السؤال: كيف تلعب حالة اللااستقرار اجتماعي في تحديد هذه المرحلة؟.

إن الحديث عن الشباب وعن كل ما يعانيه من أزمات، سببها حالة اللااستقرار، التي تجبره للبحث عن استراتيجيات جديدة لإنشاء علاقات مع الآخرين بعيداً عن التبعية للأسرة وسلطة الأب، أو عن مجموعات تبحث عن انتماء، وتملك نفس التصورات، انطلاقاً من الأسرة والمدرسة، فالشارع، وهو ما يجعلنا نستنتج أن الشباب مرحلة تُبنى اجتماعياً وثقافياً عن عينة من الأفراد لها نفس الخصائص الأنفة الذكر (بيولوجية ونفسية)، ولها نفس التصورات عن الماضي والحاضر والمستقبل، ويرجع لها الفضل في استشرافه، هي تعاني نفس المآسي والهموم والمشاكل والصعوبات و«غالبا ما يدرس وكأنه ينتمي إلى عالم مغلق، أي كفئة مخصوصة في المحيط الاجتماعي، إذ تعيش أزمة حادة في الشغل والتكوين والاندماج الاجتماعي»[9].

يختلف الشباب الذي نحن بصدد الحديث عنه عن الأجيال السابقة، بحكم حساسيته لعوامل التغيير، ومساهمته فيه بشكل كبير في عجلة التنمية، وبحكم قدرته الديناميكية في كسر الحواجز وتخطي العقبات، وهو الذي يستشعر الأخطار التي تحدق به وتمنعه من التكيف والتموضع بصورة تلقائية، إذن عليه أن يُناضل. وعندما يعجز أو يستشعر العجز فإنه يبتكر سبل جديدة تسير عكس سير المجتمع من خلال الرفض والاستهجان للثقافة الموجودة، وهو ما يحدد في اعتقادنا فرضية الاهتمام الذي توليه الدراسات الحديثة عن

الشباب، كونه معيار تقدم وصلاح المجتمع، لكن في علاقة طردية أو عكسية معه. كما يمكن الإشارة لكون الشباب في الجزائر ليس فئة محددة الخصائص والظروف بل هي فئات مختلفة وكل فئة لها خصائصها وأفكارها وإمكانياتها وقدراتها وطرقها الدفاعية تجاه السلطات أو الجهات التي يمكن أن تصادر طموحاتها وبالتالي تبحث عن سبل معينة لمواجهة التهميش والاستبعاد.

4. الشباب والثورة المضادة:

كون سمات الشباب مقرونة بالخصائص البيولوجية التي تميز الكائن وهو في أوج عمره، من قوة وطاقة حيوية، أو خصائص نفسية، واندفاع، وشجاعة أو اقترانها بمشكلة أو ظاهرة مرضية (مخدرات، تدخين، عنف، تطرف...)، فبسبب الخصائص المذكورة، هم معرضون للسلوكيات غير السوّية والانحراف أكثر من أي شريحة اجتماعية أخرى، ولو أن الكبار أيضا يُمارسون كل أشكال الانحراف المعروفة، وبالتالي فهي لا تقتصر على الشباب، إلا أن أنظار المجتمع تتجه نحو الشباب كونهم يمثلون الأغلبية، ولأنهم ثروة المجتمع، ومستقبله وغيرها من العبارات والجمل التي تحمل في طياتها أكثر من حكم تجعله يزهو بحاله، على -حد تعبير- مصطفى حجازي «أن فئة الشباب هي الأكثر توجهاً نحو المستقبل، إلا أنها في الآن عينه الأكثر استقطاباً للأزمات، وتعرضاً للتحديات واستهدافاً من قبل انفجار العولمة وتحولاتها، حيث أنهم في قلب دوّامة الأحداث المتسارعة التي تحكمها هذه العولمة، بفرصها ومآزقها في الآن عين. انهم الكتلة الحرجة التي تحمل أهم فرص نماء المجتمع كما أنهم الأكثر عرضة لأخطار النزاعات المتطرفة على اختلافها، ولذلك فإن توفير فرص إعدادهم للمستقبل، وتحمل أعباء قيادته، يتطلب أعلى درجات العناية في دقة وفعالية بحث قضاياهم»[10].

كما أثبتت الوقائع التاريخية والدراسات العلمية أن من الخصائص الملفتة لدى الشباب هي تمرّده على التقاليد السائدة والرغبة في تغيير رتابتها الجامدة، وعدم امتثاله لها بشكل آلي وعدم الاستقرار السيكولوجي يفسره نزوع نحو الرغبة في الاستقلال عن السلطة الأبوية والإقبال على كل ما هو التجديد ثم رغبته في الاستقرار والبحث عن الذات، وهو أكثر الشرائح الاجتماعية ديناميكية وخلقاً وإبداعا، ولهذا يُشار إلى إبداعاته وإنتاجاته الفكرية بأنها

بذور وإرهاصات لثورة مضادة للثقافة السائدة، كيف لا ووسائل الاتصال الحديثة المنتشرة على الانترنت قد ساهمت في قلب بعض الأنظمة العربية، وهي من ابتكار أيادٍ شابة*.

في خضم الرغبة لواقع جديد أفرزنه إرهاصات الثورات العربية، أثرّت بصفة كبيرة على مُجريات الأحداث في الجزائر التي تواجه أزمة جدية منذ 1988، إذ «عرف هذا البلد تحوّلات معتبرة على مستوى النسيجين الاجتماعي والثقافي، وارتفاعاً ديموغرافياً هائلاً، بثلاث أضعاف تقريباً لسكانها، وكذا هجرات من الأرياف نحو المدن وزيادة كبيرة في معدل التمدّرس (في حين كانت نسبة الأمية مرتفعة أثناء الاستقلال)»[11]، وبالتالي انعكست تبعات هذه الأزمة على الساحة السياسية في الجزائر حول كيفية الاستعانة بـ الشباب كفئة اجتماعية لدى المؤسسات المختلفة، وعلى أكثر من صعيد تعيش بين خيارين «فإذا كانت عملية تنشئتهم سليمة وتحصيلهم التربوي والتعليمي والتكويني جيداً ووفق قيمهم وثقافتهم، يمكن أن يكونوا ثروة ورأسمالاً بشرياً هامين في رصيد الأمة، وإذا كان هناك قصور في عملية التنشئة والتعليم والتكوين، فإن ذلك ينعكس لا محالة على قيم الشباب وسلوكاتهم»[12]، وإذا حصل الخيار الثاني لا يصبح بإمكان الثقافة السائدة تحقير ثورتهم أو جعلها تافهة وغير مرغوبة لديهم، لأنهم يمتلكون القدرة الذاتية على التمرّد التلقائي.

إن طبيعة الظروف غير الطبيعية في المجتمع تدفع نحو كل أشكال العنف المصاحب لطبيعة التفاعلات الاجتماعية والتردّد في وضعية الشباب ناتجة عن عدم اليقين في الحصول على حلول تدفعهم إلى «تشكيل تصورات وتمثلات سلبية، فلن يصبح الحديث عن أزمة وتذمر الشباب. ويصبح بالتالي التعميم هو سيد الموقف»[13]، والسبب أن مُؤسسات التنشئة التي تكفلهم عاجزة عن استيعاب كل طموحاتهم، ويرجع ذلك حسب آلان توران (*A, Touraine*) لكون «الرابط الاجتماعي يعرف أزمة في الأسرة، الجيران، الأصدقاء، الوسط المدرسي والمهني، كلها توجد في أزمة، تجعل الأفراد كانوا شبابا أو مسنين، في وحدة قد تقود إلى الانهيار أو البحث عن علاقات مصطنعة أو خطيرة، الشيء الذي يقود بالتالي إلى القوة والعدوان وينغرس العنف، الخوف والموت في كل مكان. لقد فقد العالم بالنسبة للعديد من

* - نشير ها هنا لكون مؤسس الفايسبوك (*facebook*) هو مارك زوكربيج شاب أمريكي من مواليد 16 ماي1984 والموقع الذي أسسه يعد من أشهر المواقع للتواصل الاجتماعي، مؤسس تويتر(*Twitter*) هو الأمريكي جاك دروسي من مواليد 1976، أما اليوتوب (*youtube*) فأسسه كل من شاد هورلي (1977)، وستيف شين (1978)، جاويد كريم (1979).

الناس كل معنى، ولا يمكن أن تنتج عن هذا سوى الكراهية بامتياز كراهية الذات والمحيط»[14]، فإذا حاولنا أن نستوضح هذه الإستراتيجية الجديدة التي سيتخذها الشباب تُجاه الثقافة ووسائطها، كونه يحملها رسالة إيديولوجية وسياسية رافضة ومحتجة، وهو يفرض عليها في نفس الوقت إعادة احتضانه بشكل طارئ، وربما يطرح السؤال البسيط: كيف نتصرف لكي يتم قبولنا؟ أي أنه بهذا الشكل يحاول البحث عن كيفية يوصل بها أصواته الرافضة للثقافة السائدة، دون أن يقع في التقليد الكلاسيكي.

هذا من شأنه أن يشكل منها حركة اجتماعية بالمفهوم السوسيولوجي حيث يقصد بـ «الحركة بالمعنى الاجتماعي باعتبارها القيام بعدد من الأنشطة للدفاع عن مبدأ ما، أو الوصول إلى هدف ما، كما تتضمن الحركة الاجتماعية وجود اتجاه عام للتغيير، وهي تشمل أيضاً مجموعة من البشر يحملون عقيدة أو أفكار مشتركة ويحاولون تحقيق بعض الأهداف العامة»[15]. وتعرف أيضا بأنها «عملية اجتماعية منفصلة، قوامها الآليات التي يتسنى من خلالها للفاعلين المنخرطين في الفعل الجمعي:

- الانخراط في علاقات تصادمية مع خصوم محددين بوضوح.
- الاتصال بشبكات غير رسمية كثيفة.
- تقاسم هوية جمعية متميزة»[16]. و يعرفها ربيع وهبة بـ «تلك الجهود المنظمة التي تبذلها مجموعة من المواطنين بهدف تغيير الأوضاع، أو السياسات أو الهياكل القائمة لتكون أكثر اقترابا من القيم التي تؤمن بها الحركة»[17].

لكن من المُهّم أن نعرف كوّن الثقافة المضادة لا تتحدّد فقط في أنها مجرد نفيّ للثقافة التقليدية، لأن «نفي الثقافة السائدة والايدولوجيا الاجتماعية الاقتصادية السائدة يفترض بادئ الأمر أن يكون الرافض مستنداً إلى ثقافة وإيديولوجية معينين. وبتعبير آخر، يجب على الرافض أن يكون مثقفاً ويملك بفضل اعتماده على العلم والجماليات الوسائل العقلية والفكرية التي تقدمها الإيديولوجية الرسمية بغية التمكن من رفض هذا الإرث الإيديولوجي. كما أن الطبقات الاجتماعية المحرومة من الثقافة والمعرفة ليس في مقدورها بحكم موقعها المستغل أن تثور ضد شيء لا تملكه في الأصل، بل هي تواقة في معظم الأحيان لتقاسم المأدبة الثقافية التي تتسمر أمامها أفواه أولاد البرجوازيين الناعمة»[18].

في الواقع يعيش الشباب في المجتمع الجزائري الحالي، بين أحضان عالم رقمي تذوب فيه الحواجز الطبقية وتختفي فيه الحدود الجغرافية، لكنه لا يوفر لهم الرخاء الاقتصادي أو

الرفاهية، ربما يوفر لهم فضاء افتراضي من الحرية في التعبير والتواصل بسرعة رهيبة يتجاوز رقابة السلطة، وتتبادل فيه الأفكار بين مختلف الفئات رغم تباينها في التعليم وتلعب فيه الأفكار دور وسائط اتصال، تنقل الإيديولوجيات لينتج عنها وعي مُضاد لما هو موجود ومختلف عن الواقع الذي يعيشونه، ولغات متكيفة نشأت بفعل التطور التكنولوجي، تسعى لتفسير الواقع في شموليته، لكن قد ينتج عن ذلك مفارقة كبيرة بحيث يعتقد الشباب أنهم أسهموا في انتاج ثورة مضادة لغرض تقدمهم غير أنهم للأسف يجدون أنفسهم أسرى آلياتها ونظامها فيصابون بالخيبة، وهو ما يشير إليه أدرنو حينما يتساءل بقوله «كيف تقوم المؤسسة وتستقل وتتعالى على المؤسس. كيف يصبح مؤسس المؤسسة تابعاً لا واضعاً، وبالتالي فارضاً لشرطه. علماً أن المؤسس هنا ليس الفرد بل المجتمع والسيرورة غالبا ما تكون لا واعية »[19].

5. الشباب ولغة النقد الالكتروني في وسائل التواصل الاجتماعي:

يمكن القول أن ما يعرفه العالم من تطوّر تكنولوجي قد انعكس طردياً على طبيعة العلاقات الاجتماعية، وهذا له علاقة أيضاً بوسائل الإعلام والاتصال التي تعلب دوراً كبيراً في تطوير دور الحركات الاجتماعية، ويمكن أن تلعب الشبكات الالكترونية دور التهديد للدولة الوطنية، لأنها لا تمنح مواطنيها الحرية والفاعلية والاستقلالية والرفاه، وبالتالي «تصبح مجالاً جديداً للممارسة السياسة وخلط الأوراق، كما ترسم حدوداً جديدة للمجتمع المدني وهويات سياسية مُقاومة تتشكل على أساس معارضة الخضوع، للهويات المشرعنة في مجتمع ما ولمؤسساته ومقاومة الإقصاء الذي تتعرض له، ذلك أن عمليات الإقصاء والتهميش والإخضاع التي تفرضها القوى المهيمنة في مجتمع ما، تولّد هوّيات جماعاتية مقاومة لشرعية النظام السائد ومؤسسات المجتمع المدني، وتتقوقع هذه الهويات المقاومة عادة حول الأسس التي أدت إلى إقصائها أو تهميشها مع المجتمع المدني السائد»[20].

إن ما مرّت به الجزائر من أحداث أليمة كان لها تأثير بالغ في تسليح الشباب بتمثلات اجتماعية متشائمة عن المستقبل كما وفدت عليه تركيبة جديدة من الأفكار بفعل المثاقفة والغزو الثقافي تحمل في طياتها أملاً سحرياً في تغيير الواقع الذي يعيشونه، لنتناول المثال عن تجارب شباب بعض الدول العربية مثل: تونس ومصر التي نجحت جماهيرها الشعبية في إسقاط النظام ولم تستطع أن تخضع الآراء المشتركة للجماهير الغاضبة والشباب الساخط على أوضاعه، لذلك كانت ردود الفعل واستراتيجيات الحكومات قمعية من أجل منع احتشاد المواطنين لكنها فشلت في الأخير. إذ لم يكتف شبابها، بنقد عدم المساواة الاقتصادية فقط، بل بنقد الوسط الثقافي الذي يعيشون فيه، وفضح التناقضات في الأوضاع والمصالح بين

أقلية تعيش في ثراء وبحبوحة وبين أغلبية تتجرع الحرمان والمآسي وتتحمل النكسات والفشل السياسي على المستوى العربي والعالمي، وتعدى الأمر لنقد ولاة الأمر وفضح تجاوزاتهم وفي مقدمتهم رئيس الجمهورية والوزراء والبرلمان ورؤساء الأحزاب المؤيدة والمعارضة للسلطة، ونقد تلاعبهم بعقولهم وفي مقابل وسائل الاتصال التقليدية (الجرائد والمجلات وقنوات التليفزيونية...وغيرها)، التي كانت تخدم مصالح الإيديولوجية السائدة، ظهرت الوسائل الالكترونية الحديثة لتمكين هؤلاء الشباب من تشكيل ثقافة تعزز الواقع وتعمل على تشكيل اتجاهات الفرد وأنماط تفكيره بما يؤدي إلى قبوله أو رفضه للواقع، فهل هناك تأثير لتلك الثورات على الشباب الجزائري؟.

بطبيعة الحال نعم، لقد اتفق أغلب الشباب الجزائري بغض النظر عن ظروفهم بشكل تلقائي، من مقاهي الانترنت والبيوت بينهم المثقفين والمفكرين والمتمشين والبطالين الفارين من الرقابة إلى رحابة الفضاء الحر، من خلال إنشاء مدونات النقد الحر والمواقع والمنتديات والنوادي على إنتاج معرفة لم تقف عند حدود ما هو قائم وموجود، أو حتى على نقده، بل تعمل على ترشيد التغيير وانجازه لتحقيق العدالة والمساواة، بالاستعانة بالصور والفوتشوب والنكت، والكاريكاتير واللافتات الاحتجاجية والكتابة على الجدران والرسومات والأعمال التطوعية الجماعية، وبالفعل يطالب الشباب بتغير ظروف الحياة في انتفاضات شعبية واحتجاجات، كانت بدايتها المطالبة بخفض أسعار بعض السلع الغذائية الضرورية (الدقيق والسكر والزيت)، ولا تزال آثارها قائمة اليوم نحو رغبة في المشاركة في اتخاذ القرار منذ فيفري 2019، حيث بدأت المسيرات الكبرى لتغيير النظام السياسي.

لا عجب كون آثار تلك الانتفاضات الناقدة والناقمة على الأوضاع صارت تقلق المختصين والأكاديميين والجامعيين وحتى سياسيين نافذين في الدولة، والذين يرجعون أحياناً أسباب الانفلات الأمني التي يقودها هؤلاء الشباب، لقوى خارجية، انتهت بهم بتبادل الحُجج والاتهامات في مختلف القطاعات وصار كل قطاع ينفي مسؤوليته عن الأحداث، وهذا استوجب من الدولة وضع مخطط استثنائي لحل المشكلة، بمحاولة النزول إلى الشارع لتسوية مشاكل الشباب والاستماع لمطالبه لكن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع حيث تم طردهم بشكل مهين من وسط المسيرات الاحتجاجية كبرى.

من الغريب أيضا أن نفس الشباب الذي احتج بالأمس عن عدم اهتمام الدولة به يقف في وجه أصوات كانت تقرع طبول الفتنة والداعية لاحتجاجات وطنية، لكن جهودها

باءت بالفشل بسبب الوعي الوطني المتنامي بين الشباب في شبكات التواصل الاجتماعي، وهذا دليل على وعي واقعي يستوجب من الدولة أن تأخذه بعين الاعتبار.

6. الشباب بين النقد وصناعة الثقافة:

يحمل الإنسان خصوصية دون باقي الكائنات، لأنه الكائن الوحيد الذي له القدرة على صنع الثقافة، أي أنها اختراع أو اكتشاف إنساني نشأ عن الحياة الاجتماعية، وتم تناقلها جيلاً بعد جيل في شكل عادات ونُظم يتوارثها الإنسان، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى وسط اجتماعي آخر عن طريق ما يسمى بالانتشار الثقافي.

لعل من بين مميزات ثقافة هذا العصر الاختراعات «الحاسوب، وشبكة الانترنت»، حيث تعتبر «اليوم أكبر جزء من تقنية المعلومات في العالم كأداة اتصال بين كافة الأفراد في جميع أنحاء العالم يتم عن طريقها إجراء المعاملات المختلفة من تجارية كإجراء الأبحاث عن الأسواق وأوضاع المتنافسين ومراسلة الزبائن الحاليين والمحتملين بتكلفة قليلة وتبادل المعلومات والخبرات والأخبار السياسية و الاقتصادية والاجتماعية»[21]، كما مكنّت الفرد من اكتشاف طرق جديدة للتواصل الاجتماعي والاحتكاك الثقافي بطريقة غير مكلفة، كما أتاحت له إعادة طرح تساؤلات جديدة تخص واقعه وخصوصياته الثقافية خاصة أمام من يهميّن على الثقافة السائدة ومن يعيد إنتاجها؟، بسبب تسارع المعلومة وهيمنة الصورة على اعتبار أن «الأسئلة الجديدة إما كونها تستشرف المستقبل أو تعيد الإنصات إلى المكبوت ومحاولة فهمه وإخراجه من المساحات المسكوت عنها ومن مجال إبقائه في اللاشعور يؤثر في سلوكنا وقراءاتنا وقراراتنا، إن مواجهة مكبوتنا قد يراه البعض محاولات لفك الارتباط الجماعي وتهديد وحدتها وخصوصيتها في حين أننا سواء بإرادتنا أو بغير إرادتنا سنجد أنفسنا أمامه بفعل المتغيرات العالمية اليوم المتمثلة في تقنية سرعة المعلومة والصورة، وكذلك بسبب ما سيحدث من هزات في بنية السلطة التقليدية»[22].

نجد إذن أن درجة التطور التكنولوجي والمعلوماتي تكون عاملاً أساسياً لبروز الخصوصيات الثقافية والحفاظ عليها «لكن ليس بالشكل التقليدي، ولكن بتطويرها وتحويلها إلى جزء من وسائل التنمية المستديمة وضمان حقوق الأفراد والجماعات، خصوصاً إذا علمنا أن بروز تأثير للثورة المعلوماتية يمس قضايا اللغة والأخلاق والقيم. فاللغة تعتبر أساس المعارف الإنسانية والاجتماعية الأخرى، إضافة إلى التفكير العلمي والفنون»[23]، ولعل الشباب أكثر تأثراً بهذا الواقع الموضوعي، فلو أخذنا على سبيل المثال صفحة الفايسبوك التي جعلت

طريقة التواصل بينهم سهلة، هي مجال لتبادل المعارف والآراء والاقتراحات والصور والنشاطات، أي أنها صارت تنافس نوعاً ما بعض محركات البحث مثل: غوغل وياهو، حيث بلغ مرتادي هذا الموقع أرقاما خيالية.

نعيش اليوم «في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، إن الفايسبوك والتويتر وجوجل ولينكيدإن، جميعها أمثلة على التحول السريع في حياة الناس، في التفاعلات والهويات والنقاشات والآراء إلى ساحة جديدة يختلط فيها العام بالخاص، وإلى مشاع اجتماعي رقمي واسع، ويجري هذا التحول على نطاق واسع وغير مسبوق. لك أن تعرف أنه في الفايسبوك وحده، تجري إضافة 250 مليون صورة يوميا وكذلك تضاف 200 مليون تغريدة إلى تويتر وأربعة مليارات مشاهدة فيديو يوميا على اليوتوب»[24].

7. خاتمة:

يعتبر حضور الشباب في مختلف النقاشات العلمية كموضوع متجدد على الدوام كون الشباب عمر يتجدد من عصر للآخر، لأنه كفئة تحمل مصيرها بيدها شئنا أم أبينا، وتناضل من أجل إثبات حضورها متجاهلة كل الأحكام والنعوت، ومن قال عنه متهور ومتسرع، فإنه قد يخطئ. عسى التاريخ يؤكد خلاف ذلك، لأن على يده كانت الانتصارات والتتويجات، لذا كان لزاماً على كل الدول أن توليه الرعاية والعناية الخاصتين، لأن صلاح الأمة بصلاح شبابها. على أساس هذا اخترنا الحديث عن الشباب الجزائري ودوره في إنتاج الثقافة المضادة وصناعتها انطلاقاً من ملاحظتنا اليومية ونقدنا للواقع الذي نعيشه، رغم سرعة الظواهر الاجتماعية التي صارت مقلقة، خاصة مع ظهور وسائل جديدة وحديثة للتعبير عن الذات الجماعية والفردية، والتي أنتجت بدورها أنماط حياة وتصورات واستراتجيات للتكيّف مع واقع هذا الشباب الذي صار يُطالب بحقوقه في العمل والزواج والاندماج الاجتماعي والحقوق القانونية.

بالفعل كل هذه الأسباب ترغم الدولة على احتواء الشباب، لأن محاولاتها تنقصها الفاعلية في إدماجه في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الأمر الذي ينعكس سلبا على مختلف الفئات الاجتماعية الأخرى و«ما صاحب ذلك من أضرار نفسية كالشعور بانعدام العدالة والتهميش، فضلا عن المشكلات الأسرية والتسرب المدرسي، البطالة، وقد كان للظروف الصعبة التي مرت بها الجزائر في العشرية السوداء أو السنين العجاف زيادة الهوة بين مؤسسات الدولة والشباب»[25].

إن الحقيقة التي لا مناص منها تؤكد أن وسائل الاتصال الحديثة بإمكانها خلق ثقافة بديلة أو ثقافة مضادة لدى الشباب تجعلهم يثورون ويتمردون ضد كل أشكال الاستبعاد والتهميش على ما هو قائم من علاقات اجتماعية وقيم ومعايير اجتماعية خاصة وأنهم «يميلون إلى تطوير نسق ثقافي خاص بهم، عبر عنه مفهوم ثقافة الشباب، أي تلك العناصر التي انبثقت تاريخيا والتي تعبر في المحل الأول عن مصالح الشباب واحتياجاتهم ورغبتهم في التغيير والتجديد ورفض كل ما هو تقليدي»[26]، والحل يكمن ببساطة في فتح قنوات اتصال تكفلها الدولة للإنصات لتطلعاته وخلق روابط للحوار لتفادي الأزمات غير المتوقعة، من خلال إشراكه في سبل اتخاذ القرار.

8. الهوامش:

[1]- محمد على أبو العلا، فن الاتصال بالجماهير بين النظرية والتطبيق، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، مصر، 2014، ص26

[2]-جمال سند السويدي. وسائل التواصل الاجتماعي ودورها في التحولات المستقبلية من القبيلة إلى الفايسبوك، ص20 عن: *Oxford university press. Social network difinition.(http:// oxford dictionnaires.com / social_network),(accessed february 4, 2013)*

[3]- حلمي خضر ساري، التواصل الاجتماعي، الأبعاد والمبادئ والمهارات، دار كنوز للنشر والتوزيع، الأردن، 2013، ص21.

[4]- المرجع نفسه، ص27.

[5]-*Bourdieu, P. la jeunesse n'est qu'un mot, in Question de Sociologie, Paris: Ed Minuit,1980, pp 143-144.*

[6]- جان بول سارتر، مواقف المادية والثورة، دراسات فلسفية، (نر: عبد الفتاح الديدي)، منشورات دار الآداب، بيروت، ط2، 1966، ص05.

[7]-رشيد حمدوش، مسألة الرباط الاجتماعي في الجزائر المعاصرة امتدادية أم قطيعة، دار هومة، الجزائر، 2009، ص200.

[8]- المرجع نفسه، ص201.

[9]- المنجي الزيدي، دراسة سوسيوثقافية في مضامين ثقافة الشباب، مركز الناشر الجامعي، تونس، 2007، ص184.

[10]- مصطفى حجازي، الشباب الخليجي العربي، دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2008، ص15.

[11]-*Benjamin Stora. Algérie, Histoire Contemporaine 1830-1988. Algérie : Casbah éd, 2004, p 317.*

[12]- السعيد بومعيزة، أثر وسائل الاتصال على القيم والسلوكيات لدى الشباب، دراسة استطلاعية بمنطقة البليدة، دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال (غير منشورة)، الجزائر، 2006، ص04.

[13]- رشيد حمدوش، مرجع سابق، ص207.

[14]- *Alain Touraine. Un nouveau paradigme pour comprendre le monde d'aujourd'hui. Paris : Fayard, 2005, p 109.*

[15]- تشارلز تلي، الحركات الاجتماعية 1768- 2004، (ترجمة وتقديم: ربيع وهبة)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، العدد957، 2005، ص14.

[16]-دوناتيلا ديلا لورتا & ماريو ديالي، الحركات الاجتماعية، مقدمة. ترجمة نيرة محمد صبري & مراجعة طه الريدي، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2017، ص41.

[17]- ربيع وهبة، الحركات الاجتماعية تجارب ورؤى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، ص40.

[18]- جورج لاباساد، رينيه لورو. مقدمات في علم الاجتماع، (تر هادي ربيع)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1986، ص14.

[19]- تيدور أدرنو، محاضرات في علم الاجتماع، (تر: جورج كتورة)، مركز الانماء القومي، بيروت، بدون تاريخ، ص05.

[20]- دارن بارني، المجتمع الشبكي، (تر: أنور الجمعاوي)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2015، ص ص 158-159، ينظر النسخة الالكترونية على الموقع: *www.dohainstitue.org*

[21]- علي خليل سقرة، الإعلام الجديد (شبكات التواصل الاجتماعي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014، ص 48.

[22]- بومدين بوزيد، التراث ومجتمعات المعرفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009، ص104ص105.

[23]- المرجع نفسه، ص 109.

[24]- دايفيد أوماند & جيمي بارتليت & كارل ميلر، استخبارات وسائل التواصل الاجتماع،ي دراسات عالمية، عدد 125، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2014، ص09

[25]-يوسف عنصر. مشكلات الشباب الجزائري الواقع والتطلعات، مجلة الباحث، جامعة منتوري قسنطينة، العدد 10 سبتمبر2010، ص213ص214.

[26]- محمد علي محمد. الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص30.